الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

محاضرة

حب المال

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه، واستنّ بسنته، واستقام على شرعه إلى يوم الجمع والدين.

نقف اليوم مع معلم من معالم تربية النفس، ومحكٌّ من محكّات التدين الصادق، ولا سيما والبشرية تعيش عصر الفوضى الفكرية والسلوكية، وذلك لأنها تولّت عن توجيهات الديانة وتعاليم الملة، ولذلك فسدت النظم، ولا سيما وخاصة نظم الحياة. معلمنا اليوم عبادة صادقة، وممارسة للتدين جادة، ترتبط بأهم قيمة يسعى إليها الإنسان، وهي قيمة المال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ...﴾.

القيمة التي سوف أتحدث عنها هي قيمة الورع. والورع كما عرّفه الجرجاني في «التعريفات»، قال: ترك الشبهات خشية الوقوع في المحرمات. وجاء واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسألته: «ما العصبية؟» قال: «أن تعين قومك على الظلم». قلت: «فمن الحريص؟» قال: «الذي يبتغي المكسبة من غير حِلّ». قلت: «فمن الورع؟» قال: «الذي يترك الشبهة حتى لا يقع في الحرام».

فالورع يعتبر ديننا، بل هو خلاصة التدين وثمرة الإيمان: أن تكون نزيهًا كافًّا عن المحرمات، متنزهًا عن القبائح، خائفًا لربك، تترك الحرام تعبدًا لله جل جلاله، وتترك ما فيه شبهة تعبدًا لله سبحانه.

لذلك جاء في حديث ابن عباس، وفي حديث أنس، وفي حديث سعد رضي الله عنه، عند الحاكم والطبراني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وخير دينكم الورع». خير الدين الورع، ما في شك، حتى لا يفهم بعض الناس أن التدين أن تصلي وأن تسجد وأن تصوم رمضان دون أن تظهر آثار وثمرات هذا التدين على نفسك. قال: «وخير دينكم الورع». بل قال عليه الصلاة والسلام في حديث ابن ماجه: «كن ورعًا تكن أعبد الناس». أعبد الناس ليس من يصلي كثيرًا أو يصوم كثيرًا، أعبد الناس من يترك المحرمات: «اتق المحارم تكن أعبد الناس»، حديث الترمذي والمسند، وحديث ابن ماجه: «كن ورعًا تكن أعبد الناس».

هذا الورع، أيها الأحبة، ينبغي أن يكون أول ما يكون في الأطعمة والأشربة، في طلب الحلال وفي تحريه. قال النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث في البخاري: «إن من أشراط الساعة أن يأتي على الناس زمان لا يبالون من حلال أو حرام أكلوا، وإن أناسًا يتخوضون في مال الله بغير حق، ألا لهم النار، ألا لهم النار». ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «أول ما ينتن من ابن آدم جوفه»، فلا تُدخل فيه إلا حلالًا. هذا الجوف أول ما ينتن من الإنسان، ولذلك احرص على أن تأكل الحلال وتتحرّى الطعام الحلال.

قال النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث في سنن أبي داود: «من ولّاه الله على أمر فكتمنا مخيطًا، يعني إبرة، فما فوقها، إنما هو غلّ يأتي به يوم القيامة». إنه دين يعلّم الناس الأمانة، يعلّمهم النزاهة، يعلّمهم الكف عن القبائح، دين يرقى بالإنسان ويسمو بالوجدان، ويجعل المسلم صادقًا في معاملاته، يقيم حياته على أسس الأخلاق الراشدة: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾. ولذلك هذا الدين يحرص على أن تطلب الحلال، وأن تكون ورعًا فيما تطلب، وفيما تسأل، وفيما تسعى. سبحان الله! «وخير دينكم الورع»، أفضل ديننا الورع.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: العلم كله باب من أبواب العبادة. العبادة كثيرة، تعليم الناس العلم وتعلّم العلم جزء من العبادة، والعبادة كلها باب من أبواب الورع، كل العبادة: الصلوات، الصوم، الحج، الأذكار، النوافل، الطاعات. والورع كله باب من أبواب الزهد، والزهد كله باب من أبواب التوكل. لأنه لا يُتصوَّر أن يكون ورعًا من يحب الدنيا، من يمكن في سبيلها أن يضحّي بقيمه، أن ينحر الفضائل، أن يذبح الأخلاق، هذا لا

يمكن، ولا يُتصوَّر منه ورع. إن الذي يتعلق بالدنيا في سبيل الدنيا يضحّي بقيمه، ويضحّي بأرحامه، ويضحّي بإخوانه، ويضحّي بأخلاقه، ويتنازل في سبيل تحصيلها عن كل شيء. ولكن الزاهد في الدنيا لا شك أنه ورع، ولا يكون المؤمن زاهدًا ما لم يكن على ربه متوكلًا وعلى مولاه معتمدًا في أرزاقه.

الورع عبادة جليلة، وهو عملة نادرة في عصرنا: أن تكون ورعًا، أن ترى الشبهة فتتركها. قال يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: لو أنك اشتريت بدرهم من حلال تستيقن به دقيقًا ووضعت الدقيق على جرح، لو عندك جرح وضعت عليه دقيقًا اشتريته بمال الحلال، الجرح يبرأ. لا حقن ولا مسكّنات، الحلال هو العلاج، الحلال هو العلاج.

كثير من الأجساد تجدها متعبة ومرهقة، وتجدهم يقومون إلى الصلاة متكاسلين. وقد خوّفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري: «ليأتين على الناس زمان لا يبالون من حلال أو حرام أكلوا، ومن لم يأكل الربا عيانًا أصابه غبار الربا أو بخاره». حتى الذي لا يأكل الحرام مباشرة يصيبه بخاره.

كتب في الورع أئمة: ابن أبي الدنيا كتب كتاب «الورع»، المروزي كتب كتاب «الورع»، الآجري كتب «أخلاق العلماء»، وركّز على أن أجلّ أخلاق العلماء الورع والتنزه. قال ابن أبي الدنيا في كتاب «الورع»: إن عيسى عليه السلام قال: لو صليتم حتى تكونوا مثل الحنايا، وتعبدتم حتى تكونوا مثل الأوتاد، وبكيتم حتى تُجروا الدموع أنهارًا، لن تنالوا ما عند الله إلا بورع صادق. قال ابن أبي الدنيا معلقًا: ترك دانق، تعرف الدانق؟ أقل وحدة في الدرهم، ترك درهم مما حرم الله أحب إلينا من خمسمائة حجة. هل تتصور هذا الكلام؟ الحج يحسنه كل الناس، لكن الوقوف على الحلال وتحرّيه وطلبه، والتنزه وكف النفس وضبطها وإلجامها، هذا لا يقدر عليه كل الناس. ترك دانق مما حرم الله أحب إلينا من خمسمائة حجة، هذا فقه عالٍ جدًّا، فقه السلف.

أما أكثر الناس ورعًا فرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال والحديث في الصحيحين: «إني لأنقلب إلى فراشي فأجد تمرة ساقطة». يأتي النبي عليه الصلاة والسلام إلى فراشه فيجد تمرة ساقطة، بعض التمر حلال عليه وبعضه حرام عليه. قال: «فأخذها وأقرّبها إلى فمي، فأتذكر ربما أنها من تمر الصدقة، فأدعها». تمرة على فراشه، يقرّبها إلى فمه، يقول: ربما تكون من تمر صدقة. إذا كانت هدية مقبولة، وإذا كانت من تمر صدقة ممنوعة، اختلط عليه الأمر، لم يتأكد بعد، فتركها.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورعًا، كما أورد ذلك البخاري في الصحيح: لمّا أتاه غلامه بطعام وكان جائعًا، فأكل، ثم سأل عن مصدر اللقمة، فقال: كنت قد تكهنت في الجاهلية. فأدخل أبو بكر رضي الله عنه يده في فمه وتقيّأ. قال: ولو أبت أن تخرج إلا ومعها روحي لأخرجتها، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما جسم نبت من سُحت فالنار أولى به». ثم رفع يديه وقال: «اللهم إني أعتذر إليك مما خالط الأمعاء وحملت العروق». حتى هذه اللقمة، الذي خالط العروق فيها وخالط الأمعاء، وبعضها جرى مع العروق دمًا لا يستطيع أن يخرجه، يتبرأ ويعتذر لله عز وجل من هذا. إنه الورع.

وأما ورع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أورد ابن أبي الدنيا في كتاب «الورع» أن معيقيب بن أبي فاطمة، من الصحابة المهاجرين الذين هاجروا هجرة الحبشة الأولى، صحابي جليل، وجاء إلى المدينة من الحبشة، وجعله عمر رضي الله عنه على بيت المال. وجد أمام الدار، دار بيت المال، درهمًا، فأعطاه لغلام من غلمان عمر. وسأل عمر الغلام: من أين لك الدرهم؟ فقال: أعطاني إياه عمي معيقيب. فأرسل إلى معيقيب وقال له: ائتنا الآن ولا تتأخر. فجاء معيقيب يجري، قال: فوجدته قلقًا جالسًا قابضًا على كفه. قال: يا معيقيب، أي سوء رأيت عليّ؟ هل رأيت عليّ من سوء؟ قال: أحمي سمعي وأحمي بصري. قال: يا معيقيب، ففتح كفه: أتريد أمة محمد كلها تنازعني يوم القيامة؟ هذا درهم، بأي شيء استحللته وأعطيته الغلام؟ قال معيقيب: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت إلا خيرًا. قال: لا تفعل، ولولا أن لك هجرة لجعلتك للناس نكالًا. أتريد أمة محمد تنازعني في هذا الدرهم؟

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلّم أصحابه على هذا المعلم التربوي الكبير في حياة المؤمنين، فحكى قصة بديعة، وهي في الصحيحين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه كان فيمن كان قبلكم»، والحديث في البخاري ومسلم: رجل باع أخاه عقارًا، الذي اشتراه حفر فيه، أراد أن يزيد، فوجد فيه جرة، ففتحها فإذا هي مملوءة ذهبًا، جرة مليئة بالذهب. أغلقها وذهب بها إلى البائع، وقال له: لقد نسيتم في البيت جرة، ولقد وجدتها، وهذه جرّتكم رُدّت إليكم. قال البائع: لا علم لي بها، ولم أسمع بها، ولم أرها، وإنها ليست لي، ولا تحل لي أبدًا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فتدافع الجرة، هذا يعطيها لهذا، وهذا يرجعها لهذا، وكل يقول: ليست لي».

أليس هذا غريبًا؟ لو كانت في عصرنا ما الذي سوف يحصل؟ يقتتل الناس عليها، ويقيمون المحامين وكذا، صح ولا ما صح، ويرفعون الطلبات، ويثبتون، ويأتون بالشهود، ويأتون بالبينات لإثبات أنها لهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فوصلا إلى القاضي». يا أخ، معقول؟ يا إخوان، هذا الكلام، هل يتصور هذا؟ ذهبوا

إلى قاضٍ في جرة! لو كل يقول إنها لي لكان هذا مقبولًا، كل يتبرأ منها!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فقال القاضي للبائع: الأرض أرضك والجرة لك». قال: والله كنت أسكنها وما أعرف أن في باطنها جرة، فكيف تحل لي؟ قد بعتها. قال للمشتري: أنت وجدتها، الجرة لك. قال: كيف أحل؟ لقد اشتريت الأرض، ولم أكن أعلم أن في باطنها جرة، ولو كنت أعلم زدته الثمن. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فاحتار القاضي». احتار القاضي، ثم سألهما عن ذريتهما، فكان لأحدهما غلام وللثاني جارية، فزوّج الغلام بالجارية وأنفق عليهما جرة الذهب. هكذا حكم القاضي.

لكن يا إخوان، الورع عجيب، والورع يشمل كل الجوارح، يشمل الأعين. يقول ابن أبي الدنيا: قال أسلافنا ممن علّمونا: لئن ألقى الأسد فيأكلني في غير معصية أحب إليّ من أن أنظر إلى امرأة لا تحل لي. قال: يا أخي، يلقاني الأسد ويأكلني الأسد، ولا أنظر إلى حرام. وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لأن يمتلئ منخراي من جيفة نتنة أحب إليّ من أن أشتم رائحة امرأة لا تحل لي. وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: إني أنام وأرى في نومي امرأة لا تحل لي، فأغضّ عنها وأنا في نومي. في النوم يغضّ البصر عنها! دعك من أنه في اليقظة.

يا إخوان، الورع ديننا، وهو ثمرة إسلامنا، ومعلم من معالم النفس المهمة. أكتفي بهذا القدر، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الورعين الكافين عن المحرمات، المنزهين عن القبائح، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/حب-المال/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com